ISSN:1112-4377 مجلة المعيار
مجلد: 26 عدد: 6 (رت 68) السنة: 2022

جهود شيخ الإسلام مصطف صبري في الدفاع عن الإسلام

The defending efforts of Cheick El Islam Mustafa Sabri for Islam

ميهوب حدة[1]

طالبة دكتوراه بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية– قسنطينة

hadda.tebbani1986@gmail.com

تاريخ الوصول 2019/02/20 القبول 2022/08/21 النشر على الخط 2022/09/15
Received 20/02/2019 Accepted 21/08/2022 Published online 15/09/2022

ملخص:

يدور هذا البحث حول الجهود التي قام شيخ الإسلام مصطفى صبري للدفاع عن الإسلام، وذلك نظرا للظروف الصعبة التي عاشتها الدولة العثمانية وأدت إلى إلغاء الخلافة، وكذا الهجومات التي تعرض لها الإسلام أولا من أجل إبعاده و إقصائه من السياسة و من الحياة، ثم محاولات تشويهه لإثارة الشك في قلوب الناس وبذلك ابتعادهم عنه نهائيا، ولم يحدث ذلك في تركيا فقط، بل في بلدان أخرى زارها السيخ و هاجر إليها، و وقف على هذه الأوضاع فيها، فعكف على تأليف الكتب التي ترد على الشبهات وتبطلها و تقدم البديل الإسلامي الصحيح، وقد عرضنا في هذا البحث أهم تلك الكتب سواءً باللغة التركية أو العربية ومضمون كلٍ منها.

الكلمات المفتاحية: مصطفى صبري، تركيا الحديثة، الدفاع عن الإسلام، مؤلفات.

Abstract:

The title of this research is: the defending efforts of Cheick El Islam Mustafa Sabri for Islam, and the reasons of these efforts are the hard circumstances and events which have occurred in the Otoman State before its failure, and the attacks against Islam by the enemies to eliminate it from politics and life, also to push Muslims to doubt in their religion (faith / practice), in Turkey and other countries which Cheick Mustafa Sabri has visited.

That's why he decided to face these plans by writing various and valuable books which served Muslims to protect themselves from this cultural danger.

Key words: Mustafa Sabri, Modern Turkey, Defending Islam, Essays.

[1] – المؤلف المراسل: حدّة ميهوب البريد الإلكتروني: **hadda.tebbani1986@gmail.com**

تمهيد

لقد عاش الشيخ مصطفى صبري في فترة عصيبة و صعبة على الأمة الإسلامية و على الدين الإسلامي أيضا، حيث تكالب الأعداء على الدولة العثمانية من جانب و استهدفت القيم الإسلامية، و حيكت مؤامرات و وضعت مخططات لاستئصال الدين كلية قولا وعملا و اعتقادا. و لذلك شمر الشيخ مصطفى صبري عن ساعده للتصدي لهذه الهجمات و الرد على الشبهات التي أثيرت حول الإسلام و التي أثرت على العامة من الناس، بل حتى على كثير أهل العلم و الفكر المسلمين، في تركيا وخارجها، و ذلك من خلال المناصب التي كان يشغلها و من خلال المؤلفات التي كان يرد فيها على الشبهات التي يقذف بها الإسلام من هنا و هناك، و قد امتاز الشيخ – رحمه الله – بدفاعه عن الإسلام بأسلوب قوي و مقنع ومباشر حيث جعل من علم الكلام و قواعد المنطق أسلوبا يدافع به عن العقيدة، و ينافح به عن الدين ، فكلما سمع كلاما أو قرأ مقالة أو حتى خبرا في جريدة يسيء إلى الإسلام إلا وانبرى يفنده و يبطله بجملة من البراهين و الأدلة ، ثم يقدم الدليل الصحيح .

وسنعرض في هذا البحث تلك الجهود التي بذلها الشيخ في دفاعه عن الإسلام.

ماهي إذا أخطر الأفكار التي تصدّى إليها الشيخ، و ما هي أبرز اسهاماته في الدفاع عن العقيدة والشريعة، و ماهي الوسائل التي اعتمد عليها؟

وسنحاول في هذا البحث الإجابة عن هذه التساؤلات و بيان الجهود العلمية و العملية التي بذلها طوال حياته لخدمة الإسلام وإرشاد المسلمين و إبطال الشبهات؟

أولا: لمحة موجزة عن الشيخ مصطفى صبري:

1- اسمه ونسبه و مولده:

هو الشيخ مصطفى صبري التوقادي بن أحمد بن محمد القازابادي[1]، من أب و أم أناضوليين ذوي نسب عريق في الترك، كما قال هو عن نفسه : " ولدت في سرّة الأناضول ببلدة توقاد ، وكذا أبي وأمي وكذا أبواهما ، وأبو أبواهما، وهكذا دواليك كلهم أناضليون ذو نسب عريق في الترك."[2]

و ننبه هنا على أن أسم (مصطفى صبري) هو اسم الشيخ نفسه، و هو اسم مركب على عادة الأتراك. أما والده فاسمه أحمد كما هو مذكور أعلاه.

---

[1] مصطفى صبري، موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين، ط2 (دار إحياء التراث العربي، بيروت)، ج1، ص71.

[2] مصطفى صبري، النكير على منكري النعمة من الدين و الخلافة و الأمة، دط، دت، ص97.

ولد في مدينة (توقاد أو توقات كما تلفظ الآن) من توابع ولاية سيوا س في الأناضول، و ذلك في اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول من عام (1286هـ)، الموافق للحادي والعشرين من حزيران (يونيو) من عام (1869م).[1]

وهذا ما ذكره الشيخ نفسه رحمه الله عندما قال :

ولي بيتان في ذلك أنشدتهما مفتخرا و مضمنا لمصراع من قصيدة البوصيرى (608 - 696 هـ):

أكرم به مولدا واسما يشرفني بمصطفى الله في الأمرين تسويتي

فلي المزيد على ما قال قائله فإن لي ذمة منه بتسميتي

2- نشأته و تعلّمه

نشأ في بيت علم و فضل، و تربّى على تعاليم القرآن الكريم، حيث حفظه عن ظهر قلب وجوّده و لم يتجاوز العاشرة من عمره، وكان والده رجلا متدينا تقيا صالحا، و كانت أعظم أمانيه أن يجتهد ابنه في طلب العلم، و يصبح عالما من علماء الدين[2] .

وهذا ما ذكره الشيخ مصطفى صبري مستهلا به كتابه ' موقف العقل ':" إلى روح والدي... كان أعظم أمانيك في أمري... رحمة الله عليك و على والدتي التي لم تكن تساهمك فقط، بل تسابقك فيما يرجى فيه رضي الله تعالى، حتى إني كنت أقنعها قبلك - و أنا في ملتقى الشباب و الصبا - بأن تأذن لي و تستأذنك في السفر لأول مرة إلى **قيصرية*** المشتهرة بعلمائها بين مدن الأناضول... كان أعظم أمانيك أن أجتهد في طلب العلم و أصبح عالما من علماء الدين."[3]

لقد بدت على الشيخ مند الصغر مخايل النبوغ و الذكاء، و قد درس العلوم الإسلامية - علوم القرآن الكريم، و السنة المطهرة، و علم القراءات، و علم العقيدة، و التفسير و الفقه، و أصول الفقه، و غيرها - دراسة مستفيضة على أيدي كبار العلماء و الفقهاء.

حيث درس الابتدائية في مسقط رأسه ' توقاد ' و حفظ القرآن الكريم، و لما أتم دراسته على أيدي كبار أهل الفضل ببلدته أمثال الشيخ ' أحمد أفندي زولبيه زاده ' أقنع والدته بأن تأذن له، و تستأذن والده بالسفر لأول مرة لقيصرية، و بعد أن أذن له

[1] مفرح بن سليمان القوسي، مصطفى صبري المفكر الإسلامي و العالم العالمي، ط1 (دار القلم، دمشق)، ص77.

[2] المرجع نفسه، ص77.

* **قيصرية**، من توابع ولاية بيسواس بالأناضول، كانت آنذاك مركزا من مراكز العلم في الدولة العثمانية، و قد اشتهرت بكثرة علمائها و كانت توازي في العالم الأستانة.

[3] مصطفى صبري، موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين، ج1، ص71.

والده سافر إليها، وكان في ريعان الصبا و الشباب، و أخذ ينهل من مناهل العلم حيث أصّل دراسته الشرعية على يد الشيخ ' محمد أمين الدوريكي '[1] .

ثم انتقال إلى الآستانة، حيث أتم دراسته المترتبة لعلوم الشريعة لدى الأستاذ العالم الفقيه الشيخ ' أحمد عاصم الكوملجنوي ' وكيل الدرس في المشيخة الإسلامية.

و لقد فاق الشيخ مصطفى صبري أقرانه في الآستانة، و بزهم بعلمه وسعة أفقه، وشد انتباه مشايخه بحدة ذكائه ، وقوة حافظته ، وعمق تحصيله، وخصوصا شيخه أحمد عاصم الكوملجنوي الذي زوجه ابنته - بعدما أجازه - من شدة إعجابه به[2].

ولما نال مصطفى صبري الإجازة العلمية من أستاذه أحمد عاصم وجد في نفسه الرغبة في مواصلة الدراسة والتحصيل ، فهو لم يشبع من العلم ، فتتلمذ على الفقيه الفاضل الشيخ محمد عاطف بك الإستنبولي و تلقى منه العلم. فكان – رحمه الله– يذهب يوميا في الصباح الباكر على قدميه من حي الفاتح الذي يقيم فيه إلى جامع ' عتيق علي ' في حي السلطان أحمد الثالث بالآستانة ويجلس أمامه و يستمع إليه ويكتب عنه.

وقد كان لتلك المرحلة التي قضاها الشيخ مصطفى صبري في (الآستانة) في الدراسة و التحصيل أهمية كبيرة في مسيرة حياته العلمية[3] .

3- أهم المناصب التي شغلها الشيخ مصطفى صبري

كان الشيخ مصطفى صبري، محبا للعلم و العلماء، شغوفا بدراسة العلوم الإسلامية وتدريسها لطلاب العلم، وكانت له جهود كبيرة، ونشاط متعدد في كثير من المجالات العلمية في الدولة العثمانية، وهي كالآتي:

أ- التدريس في جامع السلطان محمد الفاتح: بعدما حصل الشيخ على شهادة العالمية بتفوق شرع في التدريس في جامع السلطان محمد الفاتح وهو لم يتجاوز الاثنين والعشرين من عمره.

وهذا المنصب مرموق يحتاج إلى جهد واجتهاد وتحصيل طويل. و استمر في التدريس في هذا الجامع سنوات طويلة حيث بقي فيه خمسة عشر عاما، واشترك في دروس الحضور التي كانت تلقى في حضرة السلطان عبد الحميد.

---

[1] المرجع السابق، ص79- 80.

[2] مصطفى صبري، موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين، ج1، ص 80- 81.

[3] مفرح بن سليمان القوسي، الشيخ مصطفى صبري و موقفه من الإسلام الوافد، ط1، (مركز الملك فيصل للبحوث و الدراسات الإسلامية، الرياض)، ص145.

وكان الشيخ أصغر الأعضاء سنّا في ذلك الوقت، ولقد لفت انتباه السلطان بحدة ذكائه وقوة إدراكه ومجاراته العلماء الكبار، وبمقدرته العلمية[1].

و يروي الشيخ مصطفى صبري ذكرياته مع والده عند توليه منصب التدريس في جامع السلطان محمد الفاتح قائلا:" حتى إنك لما أتيت الإستانبول من بلدتنا توقاد ورأيتني مدرسا في جامع السلطان محمد الفاتح – الذي كان في عهد الدولة العثمانية كالأزهر الشريف بالقاهرة وأفضل من الأزهر الحاضر– وأنا يومئذ في الثانية والعشرين من عمري ، قلت لبعض أصدقائي عني: " استأذنني لطلب العلم في الآستانة بعد القيصرية، فما لبث أن حصل على شهادة العالمية وتربع على كرسي التدريس، وكان الواجب عندي أن يستمر في التعليم حتى يبلغ الثلاثين على الأقل"[2] .

ب- تعيينه قيما عاما على مكتبة قصر السلطان عبد الحميد ثم عودته للتدريس: عينه السلطان عبد الحميد أمينا عاما على مكتبة قصر يَلْدَزْ ، وقد وجد الشيخ مصطفى صبري ضالته في هذه المكتبة التي طالما بحث عنها ، فقد كانت غنية بالمخطوطات وكتب التراث الإسلامي، فأكب عليها وأفاد منها علما غزيرا جعله في عيون معاصريه بحرا لا ساحل له.

وفي عام 1322 هـ استقال من وظائفه، وفضل العودة للتدريس وصار مدرسا لمادة التفسير في مدرسة الوعاظ، وفي معهد العلوم الشرعية في دار الفنون، ثم انتقل بعدها إلى مدرسة المتخصصين ليدرّس فيها صحيح مسلم. وفي عام 1323 للهجرة عُيّن عضوا في هيئة تدقيق المؤلفات الشرعية التابعة لدائرة المشيخة الإسلامية[3] .

جـ – توليه منصب 'شيخ الإسلام' في الدولة العثمانية:

ترقى الشيخ إلى أعلى المناصب العلمية والدينية في الدولة العثمانية، ألا وهو منصب "شيخ الإسلام"، وكان هذا تأكيدا لمستواه وقيمته العلمية، حيث تولى هذا المنصب أربع مرات متتالية (....) وكما أن منصب شيخ الإسلام يعّد مركزا علميا مؤثرا ، فهو أيضا في الوقت نفسه يعد مركزا سياسيا قويا، له دور كبير في المشاركة في أمور الدولة السياسية وتوجيهها، ولذا فقد حاول مصطفى صبري بحكم معرفته بما يدور حوله من أحداث سياسية، و معرفته بالأخطار التي بدأت تهدد الإسلام و حاكميته في الدولة العثمانية، أن يستفيد من منصبه هذا الدفاع بكل ما أوتي من قوة عن الإسلام وعن نُظُمه وأحكامه، وجعله قانون

---

[1] سعود بن عبد الرحمن اليميني، منهج وآراء الشيخ مصطفى صبري في التوحيد و النبوءة في ضوء عقيدة أهل السنة و الجماعة، بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في العقيدة، إشراف عبد القادر البحراوي، جامعة الملك سعود، الرياض، ص 19-20.

[2] مصطفى صبري، موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين، ج 1، ص 01.

[3] عبد الوهاب فرحات، نظرية النبوة عند شيخ الإسلام مصطفى صبري. مقال منشور في مجلة الدراسات العقدية ومقارنة الأديان بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، ديسمبر 2008، العدد 4، ص31.

الدولة، في الكشف عن خطط القوى والمنظمات المعادية للإسلام وحيلها، و في تنبيه المسلمين و إطلاعهم على خبث نواياهم مند وقت باكر[1].

د- مناصب أخرى:

- عضويته في دار الحكمة الإسلامية.
- اشتراكه في الجمعية العلمية الإسلامية
- عضويته في مجلس النواب العثماني عن بلدته ' توقاد '.
- مشاركته في تأسيس حزب 'الحرية والائتلاف'
- عضويته في مجلس الأعيان العثماني.
- توليه منصب " الصدر الأعظم" بالنيابة في يونيو 1919.
- توليه رئاسة مجلس شورى الدولة بالنيابة[2] .

ثانيا: موقف الشيخ مصطفى صبري من الأوضاع في تركيا:

لقد شهد الشيخ مصطفى صبري الأحداث والاضطرابات التي حصلت في الدولة العثمانية، وعايش المأساة التي مرت بها الدولة مند بدايتها، وأدرك أبعادها إدراكا تاما، وقدّر عواقبها الوخيمة ليس على تركيا فحسب، بل على الأمة الإسلامية قاطبة، لذا فقد نهض مشمرا عن ساعد الجد، يعمل ويجاهد من أجل إنقاذ الدولة مما كان ينتظرها، ويقاوم ويناضل بقلمه ولسانه عن الإسلام وعن مفهومه في الحكم والحياة، ويبذل جهودا جبارة لإيقاظ الأمة الإسلامية من غفلتها وتنبيهها إلى ما يحاك حولها من مؤامرات **الاتحاديين والكماليين*** للحيلولة دون تنفيذ رغباتهم ونواياهم السيئة[3].

1- استغلال المناصب التي شغلها لخدمة الإسلام

ويتحدث الشيخ عن توظيفه لكل المناصب التي عمل بها من أجل إعلاء راية الإسلام و التصدي لما يحاك ضده وقد تحدّث الشيخ عن ذلك حين يخاطب روح أبيه، قائلا:" ولكنك لو رأيتني وأنا أكافح سياسة الظلم والهدم والفسوق والمروق، في مجلس النواب وفي الصحف والمجلات قبل عهد المشيخة والنيابة وبعدها، وأدافع عن دين الأمة وأخلاقها وآدابها وسائر مشخصاتها، وأقضي ثلث قرن في حياة الكفاح، معانيا من خلاله ألوان الشدائد والمصائب، و مغادرا المال و الوطن مرتين في سبيل عدم

---

[1] مفرح القوسي، مصطفى صبري المفكر الإسلامي والعالم العالمي، ص 92 - 94.
[2] مفرح القوسي، مصطفى صبري المفكر الإسلامي والعالم العالمي، ص 95 - 109. بتصرف.
* **الاتحاديون**، أعضاء جمعية ' الاتحاد و الترقي '؛ و **الكماليون** هم أنصار مصطفى كمال آتاتورك.
[3] المرجع نفسه، ص 110.

مغادرة المبادئ، مع اعتقال فيما وقع بين الهجرتين، غير محسا يوما بالندامة على ما ضحيت به في هذا السبيل من حظوظ الدنيا و مرافقها لأوليتني إعجابك ورضاك."[1]

2- نشر الوعي بين المعلمين لتكوين جيل يفهم لغة العصر و تحدياته

لم يكتف الشيخ مصطفى صبري بما بذله من جهود من أجل توعية المسلمين بمخططات الأعداء لإسقاط الدّين و الدولة، بل أدرك ضرورة تكوين جيل يفهم تحدّيات العصر ويتقن علومه وفنونه.

و لقد أملت عليه غيرته الإسلامية وهو يرى الدولة والخلافة الإسلامية تتداعى أن يبذل لكل ما في وسعه لاستنفار كل أفراد الأمة للنهوض والتصدي لجميع المغرضين الذين يودون القضاء على الإسلام وعلى الدولة العثمانية، فتراه يخاطب مدرسي المعاهد الدينية قائلا:" لما كانت بعض العلوم والفنون ظهرت حديثا، فإن على الذين يقومون بواجب تدريس الشريعة أو تحصيلها أن يكونوا على بينة من متطلبات العصر.... فأنتم مهما كسبتم لشرفكم أو حثيثيكم أو مسلككم فإن ذلك مرده إلى الإحساس الطيب الذي تستلهمونه من الدين الإسلامي... ولذلك فإن مطمح القلب هو أنه بجانب عدم تفريطكم – ولو بمقدار ذرة واحدة في المتوارث في مدارسكم – عليكم أن تكسبوا العلوم والفنون الحديثة التي استحدثها العصر الحاضر ما يمكنكم من الرد كلاميا أو كتابيا على ما يثار ضدكم من الطوائف الأخرى"[2].

3- جهوده العلمية في الرد على أخطر الأفكار في تركيا

تكاثفت الجهود في تركيا آنذاك من أجل محاربة الإسلام و إقصائه من كل مجالات الحياة انطلاقا من إلغاء الخلافة و محاربة كل ما يمت إلى الإسلام بصلة في المظهر و السلوك، ثم إلغاء المحاكم الشرعية و المعاهد الدّينية، إلى معاداة لغة القرآن و استباحة الأحكام و الحدود الشرعية، و فتح باب الاجتهاد و اتباع الهوى... إلخ يستوعب كل جوانب الموضوع و تفاصيله.

ومن جهوده في مواجهة تلك الفتن والأحداث التي عاشتها تركيا تأليفه لكتاب ' الإمامة الكبرى في الإسلام ' باللغة التركية، وعنوانه ' إسلامه امامت كبرى '، أما عن الأسباب المباشرة لتأليفه فهي :

- قيام الكماليين بإلغاء الخلافة العثمانية، ثم تتابع الإجراءات العلمانية اللادينية على الإسلام وعلى كل ما يمت إليه بصلة في تركيا.

---

(1) مصطفى صبري، موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين، ج 1، ص 2.

(2) مصطفى صبري، موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين، ج، ص 113.

- قيام بعض الأتراك المغرضين بترجمة كتاب " الإسلام وأصول الحكم " لعلي عبد الرزاق إلى اللغة التركية، لاستغلاله في ترويج الفتنة الكمالية في مسألة الخلافة[1] .

كما قام بتأليف كتاب ' المجددون الدينيون' باللغة التركية و عنوانه ' دينه مجددلر'.

سبب تأليف الكتاب هو أنه ظهر في تركيا آنذاك زمرة من الكتاب والمؤلفين المبهورين بالحضارة الغربية، أطلقوا على أنفسهم اسم المسلمون الجدد، ونادوا بفتح باب الاجتهاد على مصراعيه لتطوير الإسلام وتجديد أحكامه، وأشاعوا في الناس أفكارا باطلة تسيء إلى الدين الإسلامي الحنيف، منها قولهم إنّ الإسلام هو سبب تأخر المسلمين وتخلفهم عن ركب الحضارة، وإنه إنما بُني على أساس الخوف والإكراه لا على أساس المحبة والإقناع، وإن عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر تؤدي إلى العطالة و الكسل و التقاعس عن السعي والعمل، كما أن الأوقاف الإسلامية تؤدي إلى تجميد الأموال والممتلكات وتعطيلها عن العمل، وتبرموا بأحكام وقوانينه الثابتة وقالوا عنها أنها جامدة غير قابلة للتطوير.

و في مقدمة هؤلاء المجددين كاتب تركي يدعى ' هاشم ناهد بك ' مؤلف كتاب ' سبيل النجاة والرقي لتركيا ' الذي ضمنه كثيرا من هذه الأفكار الباطلة وتطرق أيضا إلى مسائل أخرى، خالف فيها روح الدين الإسلامي وتعاليمه، بدعوى التطوير والتجديد[2].

كما قام أيضا بتأليف كتاب ' المسائل التي هي هدف المناقشة في الإسلام' بالغة التركية، وهو في الأصل مجموعة من الأبحاث كتبها الشيخ بخصوص بعض القضايا والمسائل الاجتماعية والاقتصادية التي كثر حولها الجدال و النقاش – آنذاك– في تركيا بين الكتاب المتفرنجين من جهة والمحافظين من جهة أخرى. وقد تناول تلك المسائل بما هو معروف به من دقة البحث وقوة المنطق وغزارة العلم فوفاها حقها من حيث إيضاح وجهة نظر الإسلام فيها، والرد على المتفرنجين والمولعين بالغرب وعلومه، ونشرها في مجلة (بيان الحق) التركية التي كان يترأس تحريرها[3] .

أما عن كتبه التي ألفها باللغة العربية فتجد كتاب ' النكير على منكري النعمة من الدين والخلافة والأمة'.

و قد قام بتحقيق هذا الكتاب مصطفى حلمي، ويقدم لنا فكرة عامة عن الكتاب فيقول : " يحدثنا الشيخ مصطفى صبري – رحمه الله تعالى– في هذا الكتاب عن إلغاء الخلافة العثمانية، وقد رأيت وضعه بين أيدي المؤرخين و المفسرين والدارسين للنظم السياسية والدعاة، وذلك أن موضوع الكتاب يعالج أكثر القضايا اتصالا بمآسي المسلمين في العصر الحديث، حيث انفرط عقد وحدتهم بإلغاء الخلافة التي ظلت جوهر النظام السياسي الإسلامي مند وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، والكتاب في مضمونه

(1) مفرح القوسي، الشيخ مصطفى صبري و موقفه من الفكر الوافد، ص 208 - 209.
(2) مفرح القوسي، الشيخ مصطفى صبري و موقفه من الفكر الوافد ، ص 202 - 203.
(3) المرجع نفسه، ص 188- 189.

يعبر عن آراء الشيخ مصطفى صبري – آخر شيوخ الإسلام في عهد الخلافة العثمانية– وتمتزج آراؤه بتفاصيل تاريخية وسياسية وعسكرية وثقافية يصعب على القارئ الوقوف على حقيقتها وفهمها ما لم يعرف الخلفيات وراء هذه الأحداث"[1].

و هذا الكتاب له أهميته الخاصة في تاريخ المسلمين المعاصر والفكر السياسي الإنساني لأنه يصحح معلومات كثيرة خاطئة ويكشف أسرار عميقة، ويعتبر وثيقة مثبتة للمؤامرات والخطط اليهودية والصليبية للقضاء على الخلافة مند البداية من خطورة نتائجها، ولذا اختار له عنوانا يوحي بشدة غضبه وعنف نقده فسماه ' النكير على منكري النعمة من الدين والخلافة والأمة". [2]

ولم تقف المخططات المعادية للإسلام عند هذا الحد، بل تطاولت حتى لتنال من القرآن الكريم، كيف لا، وهو الأساس الذي يُبنى عليه كل ما هو دين إسلامي.

إذ حاول الكماليون الانقلابيون على الدين والدولة إثارة فتنة بجعل المسلمين يهجرون القرآن المنزل من عند الله باللسان العربي المبين، واستبداله بقرآن آخر مترجم ، إلى اللغة التركية، ليس هذا فحسب، بل إحلاله محل القرآن الموحى به من عند الله في الصلاة وفي غيرها من العبادات والمعاملات، و قد وجدت هذه الدعوة من يروج لها ويدعمها ويدافع عنها، إذ قام بعض الكتاب في مصر إلى إغراء الشعوب الإسلامية بالأخذ بها، و حرروا المقالات لتأييد الكماليين في مسعاهم، ومنهم الأستاذ محمد فريد وجدي والشيخ محمد مصطفى المراغي.

و لكن الشيخ مصطفى صبري كان لهم بالمرصاد، إذا قام بتأليف كتاب ' مسألة ترجمة القرآن'، الذي استهله قائلا:" أما بعد: فقد يظن أناس مما أحدث في تركيا من مسألة ترجمة القرآن وإقامة المترجم مقام الأصل في الصلاة وغيرها، أن المقصود منها تجنيس القرآن بالجنسية التركية وهو غير ذلك، ومن الغريب انه ارتفع بعض أصوات عربية في مصر تقابل حادثة تغيير لغة القرآن بما زاد على التسامح في المسائل القومية، وتعد لمحدثيها أدلة من كتب الفقه ما طلبوها، فقلت متطوعو العرب ينصرون متطرفي الترك، وإن كان ضد مركز القرآن العربي وإن كان ضد مرضاة الشعب التركي المسلم."[3]

إضافة إلى ما سبق ، انتبه الانقلابيون وأعداء الدين والمعجبون بالغرب في تركيا إلى عامل آخر، يمكنه أن يزيدهم نجاحا في محاربة الدين والسير قدما في تقليد الغرب، ألا وهو المرأة ، فدعوها إلى السفور والتبرج ، بل أجبروهن على ذلك، ونادوا بتحريرها ومساواتها مع الرجل في كل شيء، وأثاروا الشبهات حول الكثير من المائل المتعلقة بها مثل تعدد الزوجات.

---

[1] مصطفى حلمي، الأسرار الخفية وراء إلغاء الخلافة العثمانية، ط01 (دار الكتب العلمية، بيروت، 2004)، ص 03.

[2] مفرح القوسي، مرجع سابق، ص 226.

[3] مصطفى صبري، مسألة ترجمة القرآن، د ط (المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، 1351 هـ)، ص04.

فتصدى الشيخ مصطفى صبري لهذه الفتنة أيضا . وألف في ذلك كتابه ' قولي في المرأة ومقارنته بأقوال مقلدي الغرب' الذي رد فيه الشيخ على دعاة التبرج والسفور وناقشهم في الشبهات التي أثاروها كشبههم في مسألة تعدد الزوجات ومسألة الحجاب للمرأة المسلمة ، ودحض الشيخ هذه الشبهة بالأدلة الشرعية والعقلية وضرب الأمثلة من الواقع[1].

ويستهل الشيخ مصطفى صبري كتابه حول المرأة قائلا:" أما بعد: فقد كانت مسألة المرأة قبل زمان غير بعيد أعظم فارق بين الشرق والغرب والإسلام وغيره في المجتمع، حتى انه لم يخطر بالبال أن يجد الغرب في مرأته المكشوفة مقلدا من الشرق المسلم المشهور بغيرته على نسائه مهما قلد في غيرها، لكن للأسف أن غيرته على نسائه زالت مع غيرته على إسلامه، وبما كان زوال الأولى جزاء من الله تعالى في الدين على زوال الثانية"[2]

و يواصل استنكاره لهذه الهجمات على الدين قائلا:" و ألم تكفكم بعد مسألة الخلافة ما قد أفتى به كمال لنفسه ولحكومته في مسألة اختلاط النساء بالرجال ومقابلتهن بمن يلقين من الرجال بزيهن أو زيّهم ولله در السيد رشيد رضا حيث قال في أثناء بحثه عنه: " وقد صرح في مسألة النساء وما سيكن عليه في الأمة التركية الجديدة ما لا يرضاه كله رجال الدين والمتدينون" (...) ثم ألم يكفكم مشروعكم الناهي عن تعدد الأزواج، وقد أحله الله في كتابه على مثنى وثلاث ورباع، ومشروعهم الناهي عن زواج أبناء وبنات سنين أقل من سبع عشرة أو ثماني عشرة". [3]

ليس هذا فحسب بل إن الشيخ رحمه الله قد تصدى لحملات أخرى كثيرة غير هذه من تلك التي شنها الكماليون والاتحاديون على الدين، ومنها قوله عن إلغاء المحاكم الشرعية والمعاهد الدينية: " وقد كان تجريد الدولة عن دينها وخلافتها ومحاكمها الشرعية ومعاهدها الدينية استجلابا لمرضاة الدول الكبيرة الغالبة في الحرب العالمية الأولى."[4]

وكذلك اعتراضه على استبدال الحروف العربية باللاتينية من اللغة التركية بقوله:" إن الكماليين أرادوا – كما صرحوا به – من الكتابة بالحروف اللاتينية التخلص من العرب ومن الحروف العربية، وهم يقصدون من ذلك التخلص من دين الإسلام الذي جاء إليهم عن طريق العرب المسلمين". [5]

---

(1) سعود بن عبد الرحمن اليميني، منهج وآراء الشيخ مصطفى صبري في التوحيد والنبوة، ص 34.

(2) مصطفى صبري، قولي في المرأة، د ط (دار ابن حزم، دت)، ص 09.

(3) مصطفى حلمي، الأسباب الخفية وراء إلغاء الخلافة العثمانية، ص 128- 129.

(4) مصطفى صبري، موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين ، ج1، ص 82.

(5) مفرح القوسي، مصطفى صبري المفكر الإسلامي والعالم العالمي، ص 133

و يرد شدة نقده للكماليين إلى غيرته على الإسلام، فقلبه يحترق على ضياع الإسلام بأيدي الذين يُحسبون من بعيد أنهم حُماة مجده، وقلبه يحترق أيضا على إهمال أهل الديانة ما يجب عليهم في حراسة دينهم من تسلط أولئك الأعداء وتوانيهم عن نصرة الحق إزاء اللادينيين في نصرة باطلهم."[1]

فالحاصل أن الكماليين ليسوا بأغبيار الاتحاديين، وأن الثورة الكمالية مرتبة ومدبرة لإحياء مبادئ الاتحاديين، بل لإحياء أشخاصهم، الذين ماتوا عندما أماتوا الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى، فإن كان هناك فرق بين الاتحاديين و الكماليين فهو من حيث أن الكماليين أخبث وأشنع من الاتحاديين، وبلية على الدولة والأمة منهم، فالاتحاديون كانوا ظالمين وسفاكين للدماء المحقونة، و الكماليون أظلم وأسفك، والاتحاديون مستبدون متغلبون على آراء الأمة في عهد حريتهم، و الكماليون أشد استبدادا وتضييقا على الأمة، فالاتحاديون غصبوا الوزارة، و الكماليون ترقوا للسلطة، والاتحاديون لا دينيون غير مجاهرين، و الكماليون مجاهرون في الإلحاد، فهم أضر منهم بديننا ودنيانا"[2]

و لما استفحل نفوذ الاتحاديين فر من اضطهادهم سنة 1913، فأقام في مصر ثم انتقل إلى بلاد أوروبا حتى عاد إلى الآستانة مقبوضا عليه عند دخول الجيوش التركية إلى بوخارست في الحرب العالمية، حيث كان يقيم لاجئا إليها وقتئذ. وقد ظل معتقلا إلى أن انتهت الحرب بهزيمة تركيا وفرار زعماء الاتحاديين، فعاد إلى نشاطه السياسي في الآستانة، وعين شيخا للإسلام وعضوا في مجلس الشيوخ العثماني، ونائب عن الصدر الأعظم في رياسة الوزارة أثناء غيابه في أوروبا للمفاوضات، وظل في منصبه إلى أن استولى الكماليون على العاصمة، ففر إلى مصر[3]

ثالثا/ جهود الشيخ في الدفاع عن الإسلام خارج تركيا:

غادر الشيخ مصطفى صبري الآستانة فرارا من الكماليين قبل استيلائهم عليها سنة 1923، فحضر إلى مصر، ثم انتقل إلى ضيافة الملك حسين في الحجاز، ثم عاد إلى مصر حيث احتدم النقاش بينه وبين المتعصبين لمصطفى كمال، فسافر إلى لبنان، وطبع هناك كتابه " النكير على منكري النعمة " ثم سافر إلى رومانية، ثم إلى اليونان حيث أصدر جريدة ' يارن ' ومعناها ' الغد' وظل يرأسها نحو خمس سنوات، حتى أخرجته الحكومة اليونانية بناءً على طلب من الكماليين فاستقر في مصر إلى أن توفي بها سنة 1954 م[4] .

---

(1) المرجع نفسه، ص 126 – 127.

(2) المرجع نفسه، ص 120 – 121.

(3) مصطفى حلمي، الأسباب الخفية وراء إلغاء الخلافة العثمانية، ص 16.

(4) مصطفى صبري، قولي في المرأة ، ص 05.

و يصف الشيخ الوضع الثقافي في مصر مندهشا، فيقول:" كان ظني عند مغادرة تركية مهاجرا إلى بلاد العرب التي جاء نور الإسلام إلينا منهم أني أستريح من مجاهدة الملاحدة، لكني وجدت الجو الثقافي بمصر أيضا مسموما من تيار الغرب، فشق هذا على نفسي أكثر مما شق علي الموقف في تركية الجديدة من ذلك التيار ، كما شق وقوفي على أن إخواني العرب يفضلون تركية هذه على تركية القديمة المسلمة، فرأيتهم توغلوا في تقليد الغرب و سابقوا الترك في الافتتان به، والانقلاب الثائر في تركية حصل عندهم في شكل هادئ ومن طريق التأثير والتجديد في الأزهر."[1]

ويصف حال علمائها قائلا:" وجدت العلم الحديثَ الغربيَّ فيها الناظرَ إلى الأديان نظرها إلى الأساطير أنطق لسانا من علم أصول الدين الإسلامي ، وأعلى صوتا حتى عند الأزهريين أو على الأقل عند ذوي القول السائد منهم."[2]

كما يصف الجو الثقافي في مصر فيقول: " لقد رأيت كثيرا من كبريات الصحف والمجلات الواسعة الانتشار واقعة تحت سيطرة كتّاب متآزرين في السعي لإضعاف نفوذ الدين في المجتمع متلاعبين بأحكامه وقواعده، فلهذا لا تتسع صدور تلك الصحف والمجلات لمقالات الذود عن الدين برغبة صحيحة."[3]

و رغم كل ما عاناه الشيخ – رحمه الله – من قبل، وكل ما قام به في تركيا لنصرة الإسلام والدفاع عن أحكامه وشعائره، والتصدي لأعداء الدين بكل الوسائل، وأيضا أحوال الهجرة وعدم الاستقرار من بلد إلى آخر، لم يركن إلى الراحة ولم يضعف إحساسه بضرورة إنقاذ هذا الدين الذي يحارب من عدة جهات ويصف حاله هذه فيقول:" و على كل حال فمصر بحاجة إلى ' نصر ' دينها الذي يوشك أن يتغلب عليه الإلحاد لقوة دعاته، وانقسام العلماء المكلفين بحراسة الدين على أنفسهم، فهل لي أن أكون القائم بهذه المهمة على الرغم من شتات بالي بعد شتات شملي، في حياة المهاجرة، وضعف صحتي بعد مفارقة شبابي مفارقة بعيدة؟ فهل لي أن أجد بين مفارقة الشباب ومفارقة البلاد والأحباب ما يعوضني عن كل ذلك بما هو أعز من الكل ، ألا وهو خدمة الإسلام؟"[4]

و لكن عوامل الضعف تلك التي كانت تحيط بالشيخ لم تعجزه ، ولم تثنه عن عزمه في المضي في تحقيق غاياته النبيلة التي كان يسعى إليها دائما بل نهض مشمرا عن ساعد الجد للإسهام في تصحيح تلك الأوضاع السيئة التي رآها بمصر ، ولبذل الجهد في خدمة الإسلام والذود عن عقائده وحقائقه وأحكامه[5]

[1] مصطفى صبري، موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين، ج 01، ص 98.
[2] المصدر نفسه، ج 01، ص 98.
[3] المصدر نفسه، ج 01، ص 51-52.
[4] مصطفى صبري، موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين، ج 01، ص 100.
[5] مفرح القوسي، الشيخ مصطفى صبري وموقفه من الفكر الوافد، ص127.

ونظرا لكل هذه الأسباب شرع الشيخ في تأليف عدة كتب تصدى فيها لكثير من الفتن والشبهات التي أثيرت آنذاك ، وهذه أهمها:

1- كتاب (موقف البشر تحت سلطان القدر):

وكان مصطفى صبري قد ألف هذا الكتاب باللغة التركية أثناء إقامته بتراكيا الغربية اليونانية، ولم يتيسر له نشره، ولما قدم إلى مصر واستقر فيها ترجمه إلى اللغة العربية ' وأضاف عليه عند الترجمة كثيرا من المباحث[1]

بسط الشيخ في مقدمة كتابه أسباب تأليفه، والتي يمكن إجمالها فيما يلي:

- تحوله عن مذهب الماتوريدية إلى مذهب الأشاعرة ، وإحساسه بضرورة دراسة مسألة (أفعال العباد).
- أنه اطلع بعد مجيئه إلى مصر واستقراره فيها على رسالة من ثلاث أجزاء ، ادعى كاتبها أنه وضع علما جديدا وأسمى رسالته (علم القضاء والقدر أو سر تأخير المسلمين) ونسب جميع أهل المذاهب في مسألة أفعال العباد وجميع العلماء القائلين بالقدر إلى الضلال، بل إلى الكفر، واستشهد بقول مؤلف فرنساوي: " إن الديانة المحمدية جذام فشا بين الناس، و أخذ يفتك بهم فتكا ذريعا، بل هي مرض مروع وشلل عام، وجنون ذهولي يبعث الإنسان على الخمول والكسل"[2].

هذان السببان المباشران لتأليف الكتاب، ويوجد سبب آخر زاد من عزم الشيخ مصطفى صبري للرد على هذا الافتراء على عقيدة القضاء والقدر وهو:

أنه اطلع أيضا في مجلة (جمعية الهداية الإسلامية) على محاضرة في القضاء والقدر للعلامة الشيخ محمد بخيت المطيعي (1854-1935) ألقاها في قاعة الجمعية ففرح بها ، وعُني بقراءتها رجاء أن يجد فيها الشفاء والوفاء بحق نقطتين مهمتين هما:

أ- حل مشكلة المسألة التي لا يزال غموضها مثلا سائرا على ألسنة العلماء والعقلاء.

ب- إزالة التهمة عن الإيمان بالقدر المأثور في الإسلام التي وجهها إليه أعداؤه الجدد وأرادوا بها تشويه وجهه عند ضعفاء العقول.[3]

وقد استنكر الشيخ هذه الأقوال وهذه المواقف قائلا:" ومن العجب أن عقيدة الإيمان بالقدر التي أصبحت مضغة في أفواه الناس يتكلم ضدها من يعرفها ومن لا يعرفها فيتهمون بها المسلمين ويشاركهم في الاتهام كثير من المسلمين أنفسهم، ويوجد في

---

(1) المرجع نفسه، ص 234.
(2) مفرح القوسي، مصطفى صبري المفكر الإسلامي و العالم العالمي، ص 288.
(3) مفرح القوسي، مصطفى صبري المفكر الإسلامي و العالم العالمي، ص 289.

المشتركين كثير ممن انتصب للإرشاد والمجاهدة في سبيل الإسلام ' أو حتى من الذين امتازوا باليقظة وبعد النظر منهم من تيقظ لدخول فكرة اتهام المسلمين بعقيدة القضاء والقدر فيهم من أعدائهم الغربيين"[1]

يرّد الشيخ مصطفى صبري على صاحب كتاب ' علم القضاء والقدر أو سر تخلف المسلمين ' بقوله:" والرجل يجهل البديهيات الأولية ، ويجهل جهله، ثم يجهّل علماء الإسلام ويضللهم ويخص بالذكر منهم محمد عبده لاعترافه بسر القدر الذي لا يصل إلى حلة العقول وشيخ الإسلام إبراهيم الباجوري شارح جوهرة التوحيد وابن غانم المقدسي شيخ الإسلام ابن تيمية وحجة الإسلام الغزالي والإمام أبا الحسن الأشعري لقولهم بالجبر والحكيم ابن رشد لقوله " وهذه المسألة من أعوص المسائل الشرعية و لذلك إذا تؤمل دلائل السمع في ذلك وجدت متعارضة وكذلك حجج المعقول و هو يرى في زماننا قوة الأمم غير المسلمة الذين يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا فيبجلهم، وضعف المسلمين فيزدريهم ويستهين بعلمائهم وأئمتهم و يجهلهم، بل يُجهّل الله عز وجل، ويسند تأخر الأمم الإسلامية إلى إيمانهم بالقدر، ومن أين يدري الجاهل أن الإيمان بالقدر أعظم منابع القوة لا الضعف، ولم ينتبه لخطئه في سوء الظن بهذا الإيمان من المسلمين مع قوله:" و إن كانت هذه العقيدة مبحث كثير من علماء جميع الأمم " فكيف لم تؤخر تلك الأمم كثرة علمائهم الباحثين فيها"[2]

و يرد الشيخ في هذا الكتاب على الذين يزعمون أن تأخر المسلمين إنما هو عقيدتهم بالإيمان بالقضاء والقدر. وهو زعم قديم تولى محمد عبده الرد عليه من قبل. و لكن مذهب المؤلف هنا يختلف عن مذهب محمد عبده الذي يذهب هو وأتباعه في دفاعهم عن الإسلام مذهبا يصفه مصطفى صبري أدنى إلى إرضاء الناقد الغربي والمتفرنج الشرقي.[3]

و لا يكتفي الشيخ بإبطال هذه الافتراءات، بل يشرح السبب الحقيقي لتخلف المسلمين قائلا:" والرجل يغيب عنه أن السبب الحقيقي لتأخر المسلمين مند زمان فساد أخلاقهم و ضعف إيمانهم بالقدر وقوة جهلهم الذي أقام الرجل فيه من نفسه مثالا لهم عظيما، و من جملة الأسباب عدم وقوف كل أحد منهم عند حده فيتدخل بعلوم من لا صلة لهم و لا يتركها لعلمائها ولا سيّما العلوم الدينية التي أصبح حماها عرضة للناس يدخله من يشاء ويركض برجله في طوله وعرضه من غير حاجة إلى استئهال له وقضاء عمره في دراسته"[4]

2- **كتاب ' القول الفضل بين الذين يؤمنون بالغيب والذين لا يؤمنون' :** يذكر الشيخ مصطفى صبري أن هذا الكتاب كان في البداية جزءا من كتاب آخر هو ' موقف العقل و العلم و العالم من رب العالمين وعباده المرسلين'

(1) مصطفى صبري، موقف البشر تحت سلطان القدر، ط 01 (المطبعة السلفية، القاهرة، 1352 هـ)، ص 6-7.

(2) المصدر نفسه، ص 16 – 17.

(3) سعود بن عبد الرحمن اليميني، منهج وآراء الشيخ مصطفى صبري في التوحيد و النبوة، ص33.

(4) المصدر السابق، ص 18.

الذي أرجأ نشره بسبب أزمة الورق التي حدثت آنذاك نظرا لحجمه الكبير، ولكن طرأت أسباب اضطرت الشيخ إلى أخذ هذا الجزء من الكتاب الأصلي ' موقف العقل' ونشره، و هذه الأسباب هي كما يقول الشيخ:" ثم حدث في الأيام الأخيرة أن الشيخ شلتوت الذي عرفته من قبل بما أنكر وجود الشيطان كما يصوره كتاب الله، ورددته عليه في كتابي المار الذكر.

نشر مقالة في مجلة ' الرسالة ' عدد 462 ينكر فيها رفع عيسى عليه السلام إلى السماء حيا، ونزوله في آخر الزمان، فكتبت ردا عليه أيضا وأرسلت هذا الرد إلى مجلة ' الثقافة '. و لما مكث الرّد في إدارة المجلة زهاء شهر واطلعت على أن أصحابها لا يريدون نشره و اطلعت مع ذلك على رغبة كثير من المسلمين في أن أقول قولي بهذا الصدد كما قال بعض علماء الدين الغيورين جزاهم الله عن المسلمين خيرا و نشرت مقالاتهم في بعض المجلات، أخذت من كتابي الباب الثالث الخاص بدرس النبوة والمعجزة والنشأة الآخرة، وبادرت إلى نشره على شكل كتاب صغير قبل نشر الكتاب كله ليكون نموذجا له، وجوابا عاجلا على المسألة الموضوعة موضع البحث، وليكون الذين ضنوا بالجو أن يتسع لمقالتي مجابهين بكتاب بدل مقالة، وجعلت اسم هذا الكتاب :" القول الفصل في الذين يؤمنون بالغيب والذين لا يؤمنون."[1].

فبادر إلى الرد عليه بنشر هذا الكتاب الذي كان قد فرغ من تأليفه من قبل كجواب على هذه الشبهة ومبينا التخبطات التي وقع فيها شلتوت لتبرير مذهبه والآيات التي اعتمد عليها وبين غلطه في تفسيرها، ثم أفحمه بالأدلة القوية على بطلان مذهبه وأحصى الآيات القرآنية الدالة على رفع عيسى عليه السلام إلى السماء حيا."[2]

3- كتاب ' موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين':

يتحدث الشيخ مصطفى صبري عن هذا الكتاب قائلا:" وهذا الكتاب الذي وضعته في سنواتي الأخيرة، سنوات التوقف في المهجر عن الجهاد السياسي، متفرغا للجهاد العلمي الديني، والذي كتبت فيه ما يحتاج المتعلم المسلم إلى معرفته من المسائل العلمية والفلسفية لتسلم عقيدته الدينية وتصمد أمام تيارات الزيغ العصري، وناضلت أشتاتا من أهل العلم والأدب في الشرق والغرب أحياءً وأمواتا. وقد توغلت في طريق الجهاد حتى جاهدت مع الذين ناضلَتهم عجمة قلمي عند الكتابة "[3]

و لقد كشف فيه- بكل صراحة ووضوح- عن الأخطار التي يتردى فيها المشرق الإسلامي من جراء موجات الإلحاد والغزو الفكري والثقافي التي نشطت بعد انفراط عقد وحدة المسلمين بإلغاء الخلافة الإسلامية، وتمكن من وضع يده على مكامن

---

[1] مصطفى صبري، القول الفصل بين الذين يؤمنون بالغيب والذين لا يؤمنون، دط (مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، 1361 ه)، ص 3-4

[2] مفرح القوسي، الشيخ مصطفى صبري وموقفه من الفكر الوافد، ص 245.

[3] مصطفى صبري، موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين ، ج1، ص2.

الانحراف في عقائد معاصريه من أرباب الفكر والعلم، ولم ترهبه أسماؤهم ولا مراكزهم الوظيفية أو الاجتماعية، وذلك راجع إلى إحساسه بثقل المسؤولية الملقاة على كاهله.[1]

مع أن في الشرق اليوم شخصيات وأسماء أُكبرت واتخذت قدوة في الزيغ من محجة الإسلام. فالحق أو بالأولى من واجب رد الحق إلى نصابه، الحط من مراكزهم في القلوب بقدر ما حازوه منها بغير حق[2]

وكان هذا هو آخر كتاب ألفه الشيخ، وقد كرس فيه ما تبقى من جهد في شيخوخته مستمرا في ذلك في جهاده العلمي، وقد تضمن مباحث كثيرة ومهمة درسها وحللها وناقشها وأبطلها فأبان بذلك عن مقدرته العلمية و همته العالية. كما يعتبر هذا الكتاب الضخم الذي يتجاوز الألفي صفحة موسوعة في علم أصول الدين، لأن الشيخ ضمنه تفاصيل أمهات المسائل الدينية والعلمية والفلسفية والاجتماعية، وتعرض فيه لأخطر القضايا التي أثيرت في عصره.

و أراد من هذا الكتاب أن يبدد الشبه الكثيرة التي راجت آنداك ويذيبها ويجدد ما طرأ عليه الخراب في الشرق الإسلامي من نواحي الإيمان ولتحقيق ذلك اتسم بالشدة والصرامة، وهذا ما صرح به قائلا:" إن ردي على المخالفين صفته في درجات مختلفة من الشدة والصرامة، وأنه ليس تضييقي وتشديدي موجها إلى القراء، بل إلى الذين أناقشهم، وهم لا أمل في تحويلهم عن آرائهم الضالة المضلة بما جربتهم وجربهم غيري. و إنها أهزمهم وأقضي عليهم بوابل من النقد العلمي ولا غرو إذا كان الوابل قد تصحبه الرعد والبرق. و بذلك أكون مؤثرا في عقول القراء الذين يجري النقاش على مرأى ومسمع منهم و الذين عنيت بتأليف هذا الكتاب من أجلهم، ولست بشاتم للذين صوبت نحوهم سهام النقد الحاسم. ثم إني ما قسوت في القول إلا على الذين قست أقوالهم على أساس من أسس الدين أو علم من علومه أو طائفة من علمائه.

وما فرطت في جنوب مناقشتهم وهم المفرطون في جنب الله والمستهينون بالعقل والمنطق".[3]

وزيادة في البيان والإيضاح لا بد أن نشير إلى أبرز القضايا التي اهتم بها الشيخ مصطفى صبري في هذا الكتاب. وأهمها ' النبوة ' التي صار يطلق عليها لفظ "العبقرية"، و' إنكار المعجزات ' واستبدالها بخوارق العادات، والادعاء بأن القرآن هو المعجزة الوحيدة للنبي صلى الله عليه وسلم، و إنكار الغيبيات مثل البعث والحشر والحساب وغيرها.

أما عن أسماء الذين ناقشهم ونقدهم، فأبرزهم : محمد عبده، ورشيد رضا، وعبد العزيز جاويش، ومحمد فريد وجدي، ومحمد شلتوت، ومحمد مصطفى المراغي، ومحمد حسين هيكل.

---

[1] المصدر نفسه، ج1، ص 251

[2] المصدر نفسه، ج 1، ص 45.

[3] المصدر نفسه، ج1، ص46

خاتمة:

بعد هذه اللمحة الموجزة عن حياة الشيخ مصطفى صبري، وأهم مؤلفاته التي دافع بها عن الدين، وتصدي فيها لهجمات شرسة وشبهات خطيرة في مواقف ومراحل مختلفة، نتوصل إلى بعض النتائج وهي أن:

1- الشيخ تميز بالموسوعية وتعدد جوانب شخصيته، وهذا نتيجة وثمرة كثرة اطلاعه واجتهاده الدائم.

2-الظروف والمراحل التي عاشها الشيخ أثرت في اهتماماته وأولوياته في الحياة عموما وفي العلم خصوصا.

3- المناصب الهامة التي شغلها والأسفار والتنقلات التي قام بها أوصلته إلى معرفة أحوال الناس وعرفته على الثقافات المختلفة و الأفكار المتعددة التي تروج في بقاع العالم الإسلامي آنذاك.

4- استمراره في الإحساس بواجب الدفاع عن الدين ومسائل العبادة ظل مصاحبا له إلى آخر أيام حياته.

5- مؤلفاته القيمة تستحق الدرس والاهتمام من أجل الفائدة العلمية من جهة. والفائدة المنهجية من جهة أخرى، وذلك في الاقتداء بالشيخ رحمه الله في خدمة ديننا حسب متطلبات عصرنا.

قائمة المصادر و المراجع

أ- المصادر:

01. مصطفى صبري: قولي في المرأة، د ط (دار ابن حزم، دت).

02. مصطفى صبري: مسألة ترجمة القرآن، د ط (المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، 1351 هـ).

03. مصطفى صبري، موقف البشر تحت سلطان القدر، ط 01 (المطبعة السلفية: القاهرة ، 1352 هـ).

04. مصطفى صبري: موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين، ط2 (دار إحياء التراث العربي: بيروت).

ب- المراجع:

01. سعود بن عبد الرحمن اليميني: منهج وآراء الشيخ مصطفى صبري في التوحيد و النبوءة في ضوء عقيدة أهل السنة و الجماعة، بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في العقيدة، إشراف عبد القادر البحراوي، جامعة الملك سعود، الرياض.

02. عبد الوهاب فرحات: نظرية النبوة عند شيخ الإسلام مصطفى صبري. مقال منشور في مجلة الدراسات العقدية ومقارنة الأديان بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، ديسمبر 2008، العدد 4.

03. مصطفى حلمي: الأسرار الخفية وراء إلغاء الخلافة العثمانية، ط01 (دار الكتب العلمية: بيروت، 2004).

04. مصطفى صبري: القول الفصل بين الذين يؤمنون بالغيب والذين لا يؤمنون، دط (مطبعة عيسى البابي الحلبي: القاهرة، 1361 هـ).

05. مفرح بن سليمان القوسي: مصطفى صبري المفكر الإسلامي و العالم العالمي، ط1 (دار القلم: دمشق).

06. مفرح بن سليمان القوسي: الشيخ مصطفى صبري و موقفه من الإسلام الوافد، ط1، (مركز الملك فيصل للبحوث و الدراسات الإسلامية: الرياض).